في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن أبرح
الارض فلن أفارق ارض مصر حتى يأذن لي أبي في الانصراف اليه او يحكم
الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن أخذ أخي او بخلاصه من يده بسبب
من الاسباب وهو خير الحاكمين لأنه لا يحكم أبدا الا بالعدل والحق وقرئ
سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه
لأن الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا وما كنا للغيب حافظين
وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق او ما علمنا أنك تصاب به كما
أصبت بيوسف ومن قرأ سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من
التسريق وما كنا للغيب للأمر الخفي حافظين أسرق بالصحة أم دس
الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي أرسل الى أهلها
فسلهم عن كنه القصة والعير التي أقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما
من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى
أبيهم فقالوا ما قال لهم أخوهم فقال بل سولت لكم أنفسكم أمرا أردتموه والا
فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم
بهم جميعا بيوسف وأخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والأسف
الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم وأعرض عنهم
كراهة لما جاؤوا به يا أسفى أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه
والألف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع
مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض أرضيتم وهم ينهون عنه
وينأون عنه يحسبون أنهم يحسنون من سبأ بنبأ وعن النبي صلعم لم تعط
أمة من الامم إنا لله وإنا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد ألا ترى الى يعقوب
عليه حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وانما قال يا أسفى فإن قلت
كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزء الأحدث أشد

أشد على النفس وأظهر أثرا قلت هو دليل على تمادي أسفه على يوسف
وأنه لم يقع فائت عنده موقعه وأن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده
طريا ولم تنسني أو في المصيبات بعده ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته
التي ترتبت عليها الرزايا في ولده وكان الأسف عليه أسفا على من لحق به و من
ابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته
الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا وقرئ
من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض
فكأنه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف
الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب وعن
رسول الله صلى الله عليه انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه
بالله ساعة قط فإن قلت كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ
قلت الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك
حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلعم
على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا
عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة
ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى
على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن
البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت
عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل
له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو كظوم
من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو
مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس

Copyright © King Saud University